ثامنًا:

من اعتراضات منكري السنة ما يصلح للطعن في القرآن ولا بد

طـريقة منكري السنة فيهـا مـن الاعتراضـات مـا ينـتهض للطعن في القرآن نفسه، ولابد أن يكون الأمر سيان فكـما اطمأنــت النفــوس -بمــن فــيهم منكــرو الســنة- إلى أن القرآن محفوظ وأن الشواهد التاريخية على أهميـة علـم القراءات في العناية بـالقرآن متـواترة معنويًـا، فهـل مـا فعله أئمة الحـديث مـع السـنة، وكأنـه -صـلى اللـه عليـه وسلم- يُحدثنا، غير ما فعله علماء القرآن مع القرآن وكأنه -صلى الله عليه وسلم- أمامنا يُقرئنا؟

اعتراض منكر السنة أنها لم تدوّن كما دوّن القرآن، ولم تُراجع كما رُوجع القرآن **نـرد عليه بالآتـــي:**

هذا أمر طبيعي لا ينبغي عند التنزّل أن يكون فيه ما يدعو إلى القلق؛ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يُكلف أمته بضبط ألفاظ السنة كما تضبط ألفاظ القرآن؛ لأن القرآن للترتيل وألفاظه توقيفية ووقع بها التحدي، أما السنة فوحي بالمعنى، قال تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّه﴾.

اعتقادنا أن السنة في جملتها وحي تشريعي سيحفظه الله لا ينبغي أن تُشكل عليه واقعة تدوينها ومراجعتها، كما لا يقدح أي أمر في اعتقادنا أن القرآن بقراءاته الثابتة وحي محفوظ.

السنة محفوظة بالاقتضاء كحفظ الله لما يحتاج إليه الناس من لغة العرب لفهم القرآن، رغم الاختلافات العريضة بين العلماء حول بعض اللغة.

تاسعًا:

بيان فساد الاعتراض بأن السنة لم تدون إلا بعد قرنين من وفاته صلى الله عليه وسلم

اعتراض منكر السنة تأخر تدوينها قرنين من الزمان بعد وفاتـه -صلى الله عليه وسلم- نـرد عليه بالآتي:

أن أصـل التـدوين بـدأ في عهـده -صـلى اللـه عليـه وسلم- واستمر بعد وفاته واكتمل في نهايـة القـرن الثاني، وكتب التاريخ والتراجم مليئة بالشـواهد عـلى ذلك.

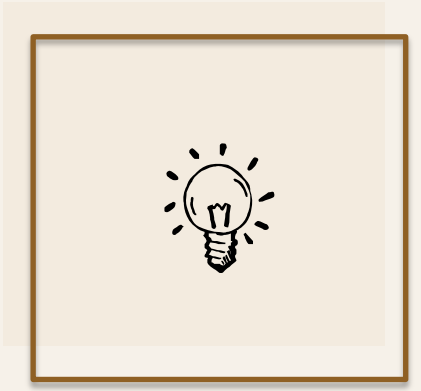

التدوين ليس شرطًا لمطلق الحفظ، فالله جل وعلا قال في مطالبة الكفار بالإتيان بحجة (أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ)، وقال أيضًا: (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ) ؛ فأطلق ولم يقيد، أي كان هذا العلم مدون أو لا ، فالتدوين ليس بشرط يتعذر بفواته الحفظ، وإنما هو صورة ممكنة من صور نقل أو حفظ كثيرة؛ وقد حُفظت أخبار ووقائع من غير السنة التشريعية وتواترت بأقل من هذا.

الأحاديث صورة من صور الوحي؛ بدلالة القرآن أن الوحي إما يكون توقيفي اللفظ، وإما أن يكون معنى يقذفه الله في نفس النبي فيبلغه بلفظه هو، فيكون بذلك صورة مغايرة من صور الوحي، ومن ذلك الأحاديث الإلهية المسماة بالقدسية، وهي من باب أولى؛ فكذلك الأحاديث النبوية.

القـســـم الثالـــث:

دروس من الجدل حول واقعية التاريخ وثبوت السنـة

المشكلة الكبرى مع منكر السنة هي ضلاله في فهـم ظـاهرة التـاريخ مـن حيـث هـي حقيقـة ظرفية تعاطى معها القرآن بواقعية تامة.

نماذج لأئمة الإسلام التي تؤصل إمكان المعرفة التاريخية ومشـروعية الاعتماد عليها في إقامة الحجة عـلى المخـالف وما يتبعه من كون حجية السنة متوقفة لزومًـا عـلى الإذعـان لواقعية التاريخ:

ردود الشافعي في مناظرته للمائلين عن الاحتجاج بالأحاديث.

مناظرة الأذرمي لابن أبي دؤاد في حادثة القول بخلق القرآن.

ما قرره السيوطي من خلو الأعصار من دواعي تلقيها بالقبول.

تفاوت منكـري السـنة في مآخـذهم وافـتراقهم في دوافعهم، وإن زعمـوا تجـانس السـبب الـذي يوحد موقفهم، ألا وهو سبب اسـتقلال المعقـول مع القرآن في الدلالة على صواب دعواهم.

يستفاد منه أن مقالة إنكار السنة لو كانت مما لا يسع الأمة خلافه، لصـدرت عـن موقـف متجـانس يمتد عبر التاريخ، مثل موقف أهل السنة والجماعة من مركزية السنة كان ومـا زال متجانسًـا لا اخـتلاف فيه إلى يومنا هذا.